بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين

في مناسبة ميلاد رسول الله (ص)[1] أحاول أن أبيّن بعض جوانب الإسلام العظيم، نحن لا يمكن أن نرتبط برسول الله (ص) وأن نكون من أمته إلا أن نعرف دينه ونتدين به، لأن رسول الله (ص) كان كل همه دينه الذي بعث لنشره، فنحن إذا لم نهتم –والعياذ بالله– بما كان يهتم به رسول الله (ص) فإذن لا نحب ما كان يحبه، الناس يرتبطون ببعضهم باهتماماتهم أوليس كذلك؟ أنا إذا أهتم بالشيء الذي أنت تهتم به وأنت إذا اهتممت بالشيء الذي أنا أهتم به، إذا أنت آمنت بالأمر الذي أنا أؤمن به وأنا آمنت بالأمر الذي أنت تؤمن به وكانت لك الحساسية تجاه هذا الأمر مثل حساسيتي فنحن مؤمنان بنفس الشيء، وإلا حسب الظاهر ندعي الإيمان وليس أمرنا أمرا مشتركا

هذا الأمر الذي نحن نحاول أن نروّجه هذا الأمر الآن مجهول ومهمل ولا يهتم به، يجب أن يُعرف هذا الشيء، نحن نحاول أن نعرفه ونحييه في نفوسنا ثم إذا عرفنا بشكل طبيعي نتحرك لإحيائه في الخارج كذلك، وبطبيعة الحال لا نستطيع أن نحيي هذا الأمر إحياءا كاملا إلا أن يظهر ولي الأمر (ع)، فهنا بشكل طبيعي ننتظر الفرج ولأجل هذا الأمر نعاني من غيبته وعدم حضوره (ع)

فالإنسان الذي يتعامل مع هذا الأمر تعاملا عاديا ومواقفه مواقف ليّنة هيّنة، لو افترضنا إذا شخص استفزه بشيء فهو لا يسكت على الضيم، أما إذا شخص يعيق حركته لنشر دينه فلا يبالي، بل أكثر من ذلك إذا شخص تحمس واستنفر قواه لإحياء هذا الأمر فشخص آخر يهوّن عليه ويخطئه بهذا التصرف، لماذا تتصرف بهذا الشكل! هذا الوضع يجب أن يتغير، هذه الحالة يجب أن تتغير، الإنسان لا يستطيع أن يكون مؤمنا بحضور مجلس واستماع أحاديث أو قراءة كتب أو التفكير فقط، لا بد أن تكون لديه صبغة ولاء وبراء

ذكرت في الأسبوع الماضي خبر عن نزول مركبة فضائية على المريخ، تفكر بأن هذا كيف كان تأثيره على المسلمين؟ أنا أخمّن –حسب تجاربي– كثير من الناس لم يهتموا ولم يبالوا به ما دامت الحياة ماشية، وبعض الناس فرحوا أكثر يعني الدنيا بخير، هؤلاء الذين استطاعوا أن يفعلوا هذا الشيء أكيد

---

(١) تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله في يوم الجمعة بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/٧/٢٥م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

سوف يستطيعون أن يطوروا الحياة أكثر ويريحونها بشكل أفضل، وهنالك بعض الأشخاص تحسروا، فيا ليت هذه الإمكانيات كانت لنا نحن المسلمون

أريد أن أنطلق من هذا، قليل من الناس الذين تعاملوا مع هذه الحادثة –والانبهار الذي حصل والرهبة التي أوجدتها في النفوس– كآية ومؤشر لوجود انحراف جذري في فهم الإسلام، تفكرون أن هذا النمط من الناس كثيرون أم قليلون؟ أنا متفائل بك، يعني أنت تستحق أن يُبذل لك جهد لتقوم بالقسط لتعرف نبيك وتعرف إمامك وتعرف دينك وتعرف ربك قبل كل شيء

هنالك وجهتان طريقان، صراطان نجدان، هذان النجدان يتجسدان في كل شيء، فمن معالم نجد الشهوات هو أن الإنسان يفكر بأنه خُلق ليتمتع بالدنيا يلتذ بها يأنس بها يستفيد من خيرات هذه الأرض، فالأشياء خُلقت له وهو لا يفكر في مسألة الخلق أساسا، ممكن يفكر يتدين يصلي يصوم وأعمال أخرى يقوم بها لكن هذه الأشياء يربطها بتلك الطريقة وبذلك الاتجاه الذي يسعى لتحقيق الشهوات، أفضل الحياة هي الحياة التي تحقق شهوة أفضل وأكثر، وإذا كان الشخص متدينا –حسب الظاهر– يقول بشرط أن لا يكون فيها محرمات، وبطبيعة الحال المحرمات محدودة ودائما يوجد لها مخرج فقهي على الأكثر أوليس كذلك؟ لكن الاتجاه اتجاه الشهوات

الإنسان في هذا الكون بالمقدار المعروف هو الموجود الوحيد الذي يستطيع أن يغير ويسخّر الكون ويوجهه –بمقدار– وفق ما هو يريد، الإنسان هو الذي يستطيع أن يدخل في أعماق البحر، يستطيع أن يطوي المسافة بين الأرض والمريخ، هذا الإنسان الذي يستطيع أن يتصرف في الجينات الحيوانية فيركّب ويفصّل ليَظهر موجود جديد، هذا يستطيع أن يفعله الإنسان أم لا؟ في النباتات هذه القضية معروفة وحتى في الحيوانات معروفة، يعني مثلا الاستفادة من بعض السلالات في التزاوج، هذا فقط الإنسان يستطيع أن يفعله، الحشرات يُقال أنها تساهم في تلقيح الأشجار والنباتات لكن هي في الحقيقة لا تعي ذلك وعلى هذا الأساس الحشرات والحيوانات تبقى كما هي من دون أي تطور، أنت لا تستطيع أن تتنبأ أن مستقبل العالم كيف يكون، لأن الإنسان يتصرف في هذا الكون وعنده هذه الإمكانية

أنت لك إمكانية التصرف في هذا الكون، أنت على مفترق طريقين نجدين إما تتجه لتستغل الكون لتستفيد من هذه الإمكانية وهذه القدرة في تحقيق مزيد من الشهوات، طبيعة الشهوة –كل

شهوة– هي مثل الشجرة تتشعب، والشهوة ليس من الضروري أن تكون فقط الطعام وهذه الأشياء فالإنسان يغور في أعماق البحر للشهوة، يُصور تلك المناظر الخلابة بعد ذلك تبث عبر الأقمار الصناعية أنت تستقبل تلك الصور تأنس بها، تلتهي بها ترتاح لها، هذه كذلك شهوة

أسأل هذا السؤال البديهي الواضح: هل للعالم إمامة أم لا؟ إمامة العالم ماذا تعني؟ يعني العالم يتجه في اتجاه معين هنالك إمامة تقود العالم في ذلك الاتجاه، هل هذه الإمامة توجه الكون في اتجاه الشهوات أو في اتجاه آخر؟ الجواب ماذا يكون؟ هل نحتاج أن نفكر في جواب هذه المسألة أم أنها صريحة ومعلنه؟

بطبيعة الحال إذا تضاربت الشهوات هنا تحصل مشكلة فيُتخلى عن شهوة لأجل شهوة أخرى، مثلا إذا شخص أصيب بالسكري والطعام الحلو مشتهى، وكذلك طول العمر مشتهى، أيّ من الشهوتين ترجَّح؟ فيحاول الإنسان أن يجد طريقا للجمع بين هذا وذاك، هذه هي الدنيا هذا يجب أن تعرفه

أنت أمام هذين الطريقين، اعرف إمامك، فهذا التركيز الهائل على الإمامة وأنه لا دين من دون إمامة وأنه لا يُعرف الدين من دون إمام ومن دون إمامة وأنه لا يقبل عمل من دون الإمامة، وأن الإيمان لا يكون إلا بإمامتهم (ع)، هذا التركيز لأنك أنت دائما أمام طريقين، لابد أن تعرف إمامة الطريق، أنت مؤمن بأمير المؤمنين (ع) الذي كان يجسّد هذه الإمامة الممتدة في طول التاريخ، إمامة نوح إمامة إبراهيم إمامة موسى إمامة عيسى وإمامة النبي (ص)، هذه الإمامة الممتدة لابد أن تُعرف لأنك أمام دعوتين إمامتين، إمامة هدى وإمامة ضلال، ولا تستطيع أن تعرف إمامة الأئمة (ع) إلا أن تعرف الإمامة القائمة الآن والتي تغزوك حتى في عقر دارك

تعرفون أنه لا طريق من دون إمامة، ولا إمامة من دون طريق، طريق الأئمة (ع) هو أن الإنسان له رب، رب حكيم، خالق حكيم، لم يخلق الله شيئا عبثا، فلا يوجد انفلات في هذا العالم، والإنسان خلق عزيزا (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[1]، أسجد الملائكة للإنسان، فعلا الملائكة ساجدون لك يخضعون لك، أنت بإمكانيات الله عن طريق القوة التي سخرها لك تستطيع أن تتصرف في هذا الكون، فملائكة الله الذين بهم الله جعل نظاما لهذا الكون هؤلاء ينسقون معك،

---

[1] (البقرة: ٣٠)

أما الحيوان إذا أراد أن يخرج عن طوره فالملائكة يسخرونه لأن يسير في طريق مرسوم لا حياد عنه، أما الإنسان يستطيع أن يتصرف أوليس كذلك؟ الإنسان يستطيع أن يغير (إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغيّروا ما بِأنفُسِهم)[1]، فالإنسان يستطيع أن يغير ويتغير، هكذا شاء الله

يوجد طريقان طريق الأئمة (ع) وطريق الشهوات، أنت أمام نجدين، أنت عليك أن تستجيب لإحدى الدعوتين، دعوة اتباع الشهوات لا فقط في مستوى العمل بل في مستوى الدعوة، أنت تحمل دعوة وتحمل أمانة يعني في مستوى المعرفة، في مستوى الإيمان قبل العمل، الله خلق الإنسان ولم يخلقه عبثا ليتبع شهواته، بل ليوجه الكون ليخضع لربه، وليخضع الأرض لربها، فالإنسان مسؤول حتى على الحيوانات في رواية عن أمير المؤمنين (ع) (اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم)[2]، وعلى هذا الأساس توجد روايات[3] أنه أنت حينما تنام على الأرض هذه الأرض تتفاعل معك تشهد لك أو عليك، ربي أنا أرضك خلقتني وسخرتني لهذا الإنسان الذي نام عليّ نوما هنيئا ليقوم بدوره واستفاد مني وتمتع ليوجهني إليك، أو تقول: ربي هذا أفسدني، أنت خلقته لنفسك ليكون عبدا لك خليفة لك في الأرض هو نسيك، وجهني لشهواته

الآن، هذه القضية –الوصول للمريخ– التي استولت على العالم وبشكل طبيعي أنت قرأتها وسمعتها، هذه القضية يجب أن تتحول إلى آية، بشكل طبيعي تذكرك بأن هذا النجد الذي أوصل الإنسان إلى هناك ليس نجد خير وإنما نجد الشهوات، لو كنت أنت مكان هؤلاء لكنت تتبع –والعياذ بالله– نفس النجد الذي يوصل إلى المريخ، هذه ليست دعوة الإسلام وإلا لو كان بهذا الشكل كان المفروض أن رسول الله (ص) حينما بعث يطوّر الحياة ويستفيد من الإمكانيات المتوفرة في ذلك الحين، هنالك كان يوجد أناس كهؤلاء في ذلك الحين فكان من الممكن أن رسول الله (ص) يستقبلهم ويرحب بهم ويكوّن مجتمعا يتجه –والعياذ بالله– باتجاه الشهوات، فهذه المشكلة هي نفس المشكلة التي واجهتها الأديان التي ابتليت بأناس أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات وتأثروا بهذا النجد وبإمامة هذا النجد

---

[1] (الرعد: ١١)

[2] نهج البلاغة (الخطبة ١٦٧)

[3] (وسائل الشيعة: ١٨٨/٥)

فإذا كنت متأثرا بهذا الوضع فلن تستطيع أن تكون لك دعوة، يعني أنت لا تستطيع بهذه النفسية وبهذه الذهنية وبهذه الشخصية أن تكون صاحب دعوة لترى الإمامة القائمة في هذا العالم هي إمامة ضلال، أو تقول: أنا أملك دينا، أملك دعوة، هذه الدعوة تضاد طريقكم، هذه الدعوة ليست عبارة عن دعوة ترميمية تجعلني فقط أقول لكم أنتم عظماء لكن يوجد هنالك بعض الأشياء الخاطئة في طريقتكم، مثلا الإيدز سيئ دعنا نرجع الحياة الزوجية الأسرية، الخمور غير جيدة، لحم الخنزير غير جيد لأنه يحتوي على ميكروب معين وأشياء أخرى، هذه الأشياء فقط اتركوها وأنتم نعمَ الناس

فالنفس لا تستطيع أن تجزّئ الأمور إما تنبهر أو لا تنبهر أوليس كذلك؟ الآن نفوس المسلمين هل هي منبهرة أم لا؟ هذه النفوس الضعيفة التي تنبهر بهذه الأشياء ليصبح الانبهار كشجرة خبيثة لها جذور وأبعاد تدخل في النفوس، بينما هذه النفوس خلقها الله لتستطيع أن تحمل دعوة رسول الله (ص) (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِيَ دِينِ)[1]، هذه الدعوة هذه الأمانة تحملها النفوس وتعرف صرخة الحسين (ع) صرخة أمير المؤمنين وآلامه (ع)

الآن أنت تعيش ميلاد رسول الله (ص) وميلاد الإمام الصادق (ع)، إذا سئلت هل تملك شيئا – ولو إجمالا– تعطيه لهذا العالم؟ ماذا تقول؟ فقط أنه توجد هنالك محرمات تُرتكب ويجب أن يزول، أم أنك تملك وتعرف طريقا بُذلت له تلك الجهود الجبارة والحسين (ع) قتل حتى يحيا هذا الدين في نفسك، أنت من أمة النبي (ص) وباعتبارك تنتظر قيام القائم (عج) وبكيت على الحسين (ع) وأصحابه الذين كانوا بصراء، كانوا يملكون الشيء الذي يقدمونه للعالم، أيها العالم هذا هو الهدى الذي أنا أملكه، فكّر في هذا، إذا بدأت فهذا هو المنطلق الصحيح الذي لو وجّهت منه وجهك لربك (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[2]، سوف تجد أن يد الله تأخذك وتقوّيك وتنوّرك

والحمد لله رب العالمين

---

[1] (سورة الكافرون)

[2] (العنكبوت: ٦٩)